

حكايات جنوبية

Quiska Story Studio

Scene 1

الحاجة ام حسين عليق

جارية الليطاني وأيقونة الشقيف

Scene 2

ولدت حُسن حربي عام 1922 في زوطر الغربية في منزل جنوبي، اعتاد زيارة الأفراح كون أمها كانت «تجلي عرائس» بحسب قولها، أي أنّها كانت تقوم بتحضير العروس من رأسها الى أخمص قدميها، من تزيين الشعر، إلى التبرّج والحلي، وما يتخلل هذه العملية من أهازيج وزغاريد تراثية، أبدعت حُسن في حفظها وترديدها منذ الصغر وحتى آخر أيّامها. تزوجت حُسن من علي ابن الحاج ناصر عُليّ، الوجيه والكريم والمُجبرّ العربي المعروف في المنطقة وانتقلت من زوطر إلى يحمر على فرس أبيض كما قلبها، وكانت نعم الجارة لقلعة الشقيف ونهر الليطاني.

Scene 3

للحاجة «أم حسين» قصص لا يحويها كتاب، فهي كانت حافظةً للسرّ أعمق من البئر، كانت كهفاً للمجاهدين يوم قلّ فيه الناصر، وكثر فيه الخصوم، قلبها الكبير لجأ إليه الكثير ممّن أعاروا جماجمهم لله، أخفت عن كلّ من حولها أنّ في باطن المنزل نقطة لقاء وتجهيز وانطلاق لرجال الله نحو الثغور، كانت العين على العدو ماهرة في الاستطلاع، كانت فنانة في التمويه والتخفي والتنقل بين حواكير ضفاف الليطاني وأوديته، كانت تعرف طريق النهر كتجاعيد كفّ يدها، كانت شريكة في النصر، بل من صنّاعه بوجه الاحتلال، قدّمت الشهيد تلو الشهيد، ولم تكل أو تمل من العطاء دون تردد أو ضعف أو وهن، فهي أم لشهيدين وجدة لشهداء إثنين.

Scene 4

كانت ذاكرتها غزيرة بحيث تردد عليك زغاريد وأهازيج ومواويل سهرات الجنوبيين وتحفظها عن ظهر قلب، كانت بلسم لجروح أرواحنا، وحديثها عزف على قيثارة الحكمة والعزّة والعاطفة الصادقة. اكتسبنا زيارات الحجّة حسن عليق «أم حسين» مع غروب شمس ملتهبة من أيام آب على شاطئ صور، كونها جدّة زوجتي لوالدها، ثم استكملنا احاديثنا في منزلها في يحمر الشقيف.

Scene 5

يحمر التي لطالما غسل الليطاني أقدامها ولكنها لم تشرب منه قطرة، يحمر
جارة الشقيف التي لطالما حوّل شبيبها وشبابها ليالي ساكني قلعتها نار
ودخان، وأبت إلا أن تتصدر سباق التحرير بين قرى الجنوب وقبلهم
بأعوام. جلستُ والحاجة تحت شجرة العنّاب المحمّرة خجلاً من هيبة
الدّار وساكنيها لتاريخهم ووقارهم. رحت أنهل من أعماق ذاكرتها قصصاً
وعتاباً وأهازيج جنوية لطالما ردّتها صبايا جبل عامل في سهرات الأفراح
والسمر.

Scene 6

كنت أترجّي الحجة أم حسين دائماً لتُسمعني بعض ما تحفظ وهي الحافظة بدقة للعشرات، بل المئات من الردّات والزغاريد الجنوبية المميزة والتي أجادت إلقتها باحتراف مع اللّحن، وشرح المعنى والمغزى من كل تعبير وصورة. تخليداً لهذه الايقونة الجنوبية الاصيلة سأذكر القليل مما كانت تشاركه معي الحجة أم حسين:

على دلعونة وعلى دلعونة، بيّ بيّ الغربية الوطن حنونا، بيّ بيّ الغربية وكلّ الغرايب.. بيّ يلي بتاخذ من القرايب، لا روح ع الغربية وهيك الله رايد، «...وحبر بورق ما بيوصلونا

Scene 7

إيه ويها أهلا وسهلا فيكن يا ضيوف، إي ويها ولو كنتوا ألوف ألوف، إي»
«...ويها لو يعرف فيكن أبو علي، ليدبلكن خروف

إي ويها بدارنا رمانة، إي ويها حلوة ودبلانة، إي ويها وريتا لتبغضك، إي»
«ويها توقع بعينا الدبانة

إي ويها بدارنا نجاصة، إي ويها حلوة وغصاصة، إي ويها وريتا»
«...لتبغضك، إي ويها ويوقع بعينا رصاصه

شعرك الأجعدي يا حظك الأسعدي، وشعرك الخيل يا حظك الويل...»!
(يعني يلي شعرها مالس حظها مثل دبس الخروب) كما قالت الحجة

Scene 8

شاب يتودد لفتاة فيقول:

بدي قول جعيدية عالشاب وعالصبية، الشاب يقلها دخيلك أني جيلي من
...جيلك، لفيني بطرف منديلك ونقعد بوسط الفية

شو ردتلو هي: قالتلو وسط الفية ما يسرك ويا ولد الله ذلك، بتشكى عليك
!بضرك والدولة فرنساوية.. كانت فرنسا هون

..شو بقلها: بأمرك ان تشكيتي، لعطيكي تلتين بيتي الأرضية والعلية

شو بدا تقلو: بديش منك أراضني وان جبت المفتي والقاضي ومش رايح
...!!يعطيك بيبي

Scene 9

العروس من عائلة جابر والعريس من عائلة صفا (ما هني ولاد العم خيّ
البيّ) تقول الحجة، واشتعلت الأيوها بين حسب ونسب العائلتين

قالتها: إي ويها نحنا من بيت جابر جدي على جدة نحنا الأصالة وكاملات
العدّة، نحنا لبيأخذ منّا بيتأصل بيكيل الذهب العتيق بالمدّة. هيدي من
بيت جابر.

قامت تبع بيت صفا، قالتها: إي ويها نحنا من بيت صفا ويلا السلامة، إي
ويها مبيضين العمايم والعمامة، نحنا لبيأخذ منّا بيتأصل يوم ان كان ما
...! بقولولو يا أخو فلانة

Scene 10

واختتمت الجلسة مع الحجة حُسن بموال لصباح غنّته لي مع الحان: وينك
يا جار شرفنا ع الصبحية، القهوة ع النار عم ساويها بإيديي، الجيران كتار
مجبور الجار بجارو، مش صعب الجار جارو يعرف أسرارو.. صار لصار
..ميات القهوة فارو، فارو ع النار فارو وحرقولي ديي

الحجة أم حسين نموذج خالد لأجمل الأمهات اللواتي ما بخلن يوماً من
عرق ودم على أرضهنّ وأولادهنّ